عليك نفسك

يَحكم كثيرٌ من البشرِ على غيرهم بحسب حالتهم المزاجيَّة وظروفهم النفسية، فيَظلِمهم ويُشْطِط في الحكم عليهم، بل ويأنس بالحديث عن عيوبهم والكلام عن أخطائهم وهفواتهم ويعجب لفعله هذا !

وأول الظلم في الأمر إننا نعطي لأنفسنا الحَقَّ في الحُكْم على الناس، دون أن يُعطينا أحدٌ ذلك الحقَّ، فندع النظر في أحوالنا والانشغال بما في أنفسنا من عيوب وما يعترينا من نقص كطبيعة بشرية ، وننشغل بتتبُّع عيوب وسَوْءات الآخَرين ؛ وكأننا مسؤولون عنها أو كأننا مبرؤون من العيوب وأن ما يفعله الآخرون شيئا نُكرا.

وقد أصبحت أعينُنا تمارس دَوْر الرَّاصد المُراقِب المُتَفحِّص، فنضع الناس تحتَ المجهر، ونسلط أعيننا عليهم، ونضع لكل حركة أو سكنة تفسيرا معينا أو معنى من عند أنفسنا ، فذلك منافق، وذاك مُراءٍ، وفلان يقصد كذا، والآخَر فعل كذا لأنه كذا...

والكثير من التعليقات والصِّفات نُوَزِّعها على الناس تطوُّعاً واجتهادا بل ظلما وعدوانا، دون أن يُطلب منَّا ذلك، ونصَّبْنا أنفسنا منصب الرقيب العتيد، والله تعالى لم يوكل إلينا ذلك، بل أمَرَنا بإصلاح أنفسنا وترك الانشغال بمراقبة الناس ونقدِهم .

وفي هذا المعنى يقول (الحسن البصري) : أدركت أقواماً لم تكن لهم عيوب فتكلموا في عيوب الناس فأحدث الله لهم عيوبا ؛ وأدركت أقواما كانت لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس فستر الله عيوبهم .

فالواجب أن يشتغل المرء بما يعْنيه، فيحفظ لسانه عن تَصَيُّدِ الأخطاء ويحتسب نفسه ، ويدع الخلق للخالق فما فيه يكفيه ، وفي قول الشاعر ما يؤكد هذه المعاني حيث قال :

عليكَ نفسَكَ فتِّشْ عَن مَعَايِبِهَا وخَلِّ عن عثَراتِ النَّاسِ للنَّاسِ